العنوان ودلالاته في روايات الطاهر وطار

د.سمير خالدي (المركز الجامعي غليزان)

khaldis@hotmail.fr

ملخص:

يهتم المقال بالولوج إلى عالم العتبة لما تشكله من علامة لغوية مشفرة تحيل القارئ على مضمون ومحتوى النص ، مشكلا بذلك أولى البنيات التي يصطدم بها القارئ ونظرا لأهمية العنوان في التعريف بالنص والتقديم لمحتواه وجوهره أصبح من بين اهتمامات الكتاب والمبدعين يوضع بعناية تامة في جعل العلاقة الضمنية كائنة بينه وبين النص.

ويعد الروائي الطاهر وطار من بين الكتاب والمبدعين الذين يولون اهتماما كبيرا للعتبة ودورها في رسم أولى ملامح مشاهد أحداث رواياته، ومن ثم جاء اهتمامنا في هذه الدراسة منصبا بالوقوف على دلالات العنوان في نماذج من روايات الطاهر وطار.

الكلمات المفتاحية:

العتبة– العنوان –النص – رواية– علامة– بنية– السرد–المكان

summary

The article is concerned with entering the world of the threshold because it is a coded linguistic mark that refers the reader to the content and content of the text, thus forming the first structures that collide with the reader. In view of the importance of the title in the definition of text and presentation of its content and .essence, Between him and the text

The novelist Tahar Watar is among the writers and creators who pay great attention to the threshold and its role in drawing the first features of the scenes of the events of his novels, and then our interest in this study focused on the significance of the title in a model of the novels of taher water.

مقدمة:

يتبوأ العنوان مكانة مهمة في مجال السميوطيقا، والدراسات السردية للكشف عن مضمونه الجمالي في النص الأدبي، والسينما، والإشهار، نظرا لوظائفه المرجعية واللغوية والتأثيرية والأيقونية. وهو أحد عناصر النص الأساسية، كونه يساهم في قراءة الإبداع الأدبي، مشكلا بذلك عتبة النص، وأولى إشاراته، إنه العلامة التي تميزه، وتعرفه عن سواه من النصوص الأخرى إذ يعد:" من العناصر المجاورة والمحيطة بالنص الرئيس، إلى جانب الحواشي والهوامش والمقدمات والمقتبسات والأدلة الأيقونية"[1]

احتل العنوان باهتمام بالغ لدى مجموعة من الباحثين في حقل السيميائيات أمثال: : "جيرار جنيت، شارل كرفل"، روجير روفر، "وليوهويك"، الذي يعرف في بداية النص من أجل تعينه والإشارة إلى مضمونه الإجمالي من أجل جذب الجمهور المقصود".[2]

ودعا في نفس السياق "لوسيان قولدمان" الدارسين والباحثين إلى ضرورة الاهتمام بالعتبات بصفة عامة، والعنوان بصفة خاصة ليتفحصوه بما يستحق من العناية[3].

ولاشك أن العنوان يمثل العلامة الأولى لفهم بنية النص، لما له من دور كبير "إذ يمثل أحد مفاتيح النص، وواحدا من العلامات السيميوطيقية المهمة في العمل الأدبي. فهو جزء لا يتجزأ من النص الملحق، بحيث يندرج ضمن خانة النص الملحق المباشر[4]."

ويشكل مفهومه في رأي ليو هويك (*Leo Hoc*) *من بين العناصر الأساسية التي مركزا* على ضرورة استهلال دراسة النص بدراسة العنوان، يحظى بالأولوية على كل العناصر الأخرى المكونة للنص..."فهو عنصر تسلطي يمنهج القراءة"[5].

العنوان هو ما يتصدر النص، ممثلا نسقا علاماتي:" و يمارس على القارئ سلطة أدبية وفكرية، إنه كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به ويدل به وعليه ،ويحمل وسم كتابته[6]."

يمثل المفتاح لمغالق النص، كونه علامة سميوطيقية تضمن لنا تفكيك النص، وضبط انسجامه، فهو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه.[7]

يشكل هدفا يصطدم به القارئ والمتلقي فتتكون لديه دلالة خاصة للنص، فهو بمثابة الرأس، أو الروح للجسد، "إن العنوان يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام يكسبها العنوان في ضمان حياة النص [8] ". فلا يمكن

تصور عنوان بدون نص، ومن هذه الرؤية يعد العنوان مرجعا يحيلنا إلى النص، وتساعد مختلف بنياته على فك شفرة النص، إذ لا يوضع العنوان عبثا في الغلاف، بل يعد مفتاحا إجرائيا يقرأ به النص، وأول المفاتيح التي نفتتح بها عتبة النص.

فلا يمكن لنا أن نتصور نصا أدبيا بدون عنوان خاص به، فإذا كان عنوان الشخص يدل على مقر سكناه، ومكان إقامته فإن للنص عنوانا يدل عليه: **"فبدون النص يكون العنوان وحده عاجزا عن تكوين محيطه الدلالي، وبدون العنوان يكون النص عرضة للذوبان في نصوص أخرى** [9] " لتغدو بذلك أهمية العنوان لا حدود لها في رسم هوية النص، وحضور وانتماءه، ومن ثمة فهو أشبه ما يكون بطاقة هوية تقوم مقام اللوحات الإشهارية الخاطفة. ويمكن الولوج إلى النص من خلال عنوانه الذي يضع أحد رموز النص وعلاماته السيميائية، التي تشكل في وظيفتها المفتاح الذي يضعنا أمام عتبة النص الأولى.

دلالة العنوان في روايات الطاهر وطار:

برز الروائي "الطاهر وطار" في مغامرة التأسيس للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، في مطلع السبعينيات، حيث تبنى رؤية جديدة في مطاردته للواقع الاجتماعي، مسايرا كل التطورات والتحولات الطارئة على الكتابة الروائية فعدت نصوصه سجلا شاهدا على التاريخ المتمثل في رصد الثورة الجزائرية وتناقضاتها التي أثرت على الفرد والذات في المجتمع بتصرفاتها وطريقة عيشها.

وعليه ستتركز مقاربتنا للعنوان من خلال عناصر ثلاثة: البنية، الدلالة والوظيفة.

يرجع اهتمامنا بهذه العناصر، حيث في نراها في اعتقادنا تفي بغرض الدراسة، والتقرب من العنوان للكشف عن تضاريسه ومناخه، الذي يميزه باعتباره بنية دلالية بذاتها. وفي نفس الوقت دخوله في علاقة حوارية مع كلية النص. حيث جاز لنا أن نقول بأن العنوان، هو بذرة النص، ليزداد بعد ذلك كبرها وتناميها، مكونة خطابا قائما بذاته يحظى على قدر من الجمالية، معلنا عن هويته وحضوره. فيشكل العنوان مركز ثقل الرواية، وأن العلاقة بينهما

جدلية، تتلخص في عملية تفاعل معرفي يتأسس عند عتبته أفق انتظار القارئ ويصبح اتجاه القراءة من اليمين إلى اليسار والعكس أيضا.

العنوان وتشكلاته في رواية "الزلزال":

ورد المعنى مختزلا في العنوان ولما كان هذا الأخير أهم عنصر في النص الموازي له وقد يكون العنوان، سكونا من عدة بنيات، قد تكون ثلاثية، وثنائية، أو إفرادية كما هو الحال في رواية "الزلزال"، فهو مفردة واحدة، اسم مفرد مختزل. ومن المعروف أنه كلما جاءت اللفظة مختزلة، كلما زادت قدرتها الدلالية في تكثيف المعنى.

يعقد العنوان بالنص علاقة ترابطية، تكاملية الأول يعلن والثاني يفسر ملفوظا مبرمجا لدرجة إعادة إنتاج أحيانا وفي الخاتمة عنوانه في النهاية ومفتاح نص [10]. ومن ثمة يصبح العنوان: "الزلزال" نواة دالة، تحيل إلى دلالات فرعية أخرى.

فالعنوان عبارة عن اسم مجرد، والاسم في النحو يقابله الفعل، من حيث ارتباط الاسم "الزلزال" دلاليا بالسكون، وإثبات واتزان الفعل بالنشاط، والحركة والاهتزاز والتغير. ويشير معناه الدلالي في القاموس إلى الحركة والتغير على اختلاف طريقتها وكيفيتها، هذه الحركة بمختلف تشكلاتها وتجلياتها يمكن القول بأن اختيار الروائي للعنوان على أن يكون بنية إفرادية أمر مقصود، فمن خلال هذه الظاهرة على المستوى الشكلي المتعلق بالحجم يمكننا تبين بعض الخصائص التي ركز عليها الروائي: مثل عنصر المكان الذي يتجلى لنا دوما في النص مقرونا بحاسة الشم. ذلك أن طبيعة العنوان فيزيائيا وجيولوجيا يحدث فعلها في المكان، الذي هو الأرض وفي النص يبدو معرفا، ويشير إلى مدينة قسنطينة.

إن التعريف السيميائي للعالم يتلخص في كونه نسقا من العلامات الدالة، وبما أن العنوان جزء من هذه العلامة، فهو علامة لغوية، فإنه يتحتم علينا قراءته بوصفه العتبة الأولى التي يمر بها من خلالها القارئ إلى عالم النص.

ومن ثمة يمكن لنا الحديث عن دلالة العنوان، وعمقه وتكثيفه فيصبح من الواجب علينا الوقوف عند هذه المحطة والتأمل فيها وتبين معانيها ودلالاتها.

فالزلزال[11]، مصدر معرف من الفعل الرباعي زلزل معناه في المعاجم: الزلزلة، والزلزال: تحريك الشيء وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل: "إذا زلزلت الأرض"، المعنى زلزلة، قال: الزلزلة، التخويف والتحذير وقال بعضهم الزلزلة مأخوذة من الزلزال في الرأي فإذا قيل زلزل: الشدائد والزلزال، والزلزال منه زلزلة الأرض.

وهو ها هنا كناية عن الحركة العظيمة والإزعاج الشديد : والزلزلة في الأصل التخويف والتحذير أي جعل أمرهم مضطربا غير ثابت.

ويرتبط لفظ الزلزال في الدلالة المعجمية:"بالتغيير العميق لواقع معين سواء كان هذا الواقع طبيعيا أو معنويا، وهو أيضا ليس حدثا طبيعيا يحدث شقوقا عميقة في بنية الحيز الجغرافي، بقدر ما هو تغير في علاقات القوى الاجتماعية[12]."

من المعلوم أن الزلزال مرتبط بالحركة الشديدة، القوية والعنيفة، كما سبق وأن رأينا معانيه المتعددة إن الدلالات المعجمية المتمثلة في الإزعاج الزلزلة وعدم الاستقامة، والأهوال، والشدة والغبن، والتخويف، والتحذير، والتقلقل، والاضطراب، فأي هذه المدلولات التي تحملها الرواية، وأي نوع من الزلزال هو، هل يقصد به زلزال يضرب القيم والأخلاق؟ أم هو زلزال يزعزع ذاكرة الذات فتبدأ باستعادة ماضيها، وبناء حاضرها والتنبؤ بمستقبلها المجهول؟ ويبدو أن العنوان يضمر ويظهر أشياء قد يستعصى على القارئ إدراكها منذ الوهلة الأولى لأن حل لغز العنوان يكمن في النص.

يجسد لنا العنوان ثنائية (**الإضمار والإظهار**)، إذ يتأرجح بين التجلي الحضور والغياب.

فالعنوان في طبعه وبنيته الإفرادية يتمتع بسلطة القوة والشدة والهلع التي تمثل علامة على شدة الحركة، يحيلنا متن النص عبر منحنى تأويلي فنقول بأن الزلزال يختص بحركة التغير على مستوى البنية السطحية والعميقة للمجتمع وما تمخض عنها من زلزلة وزعزعة سرح البنية البورجوازية فإصابتها في عمقها وكانت النتيجة لصالح فئة المجتمع المحرومة، حيث انقضى معها عهد الاستعمار واحتكار ومصادرة الأراضي والممتلكات واندثر معه أيضا قمع عهد (الباشاوات، والأغوات) ويبد أن الزلزال مقرون بفعل الحركة، حركة التغيير والتبدل من مرحلة إلى أخرى، طالما هذا التغيير حتمية لابد منها.

يؤسس عنوان الرواية: "**الزلزال**" علاقة ضمنية بحيث لا يمكن فصل العنوان عن نصه، إنها علاقة الفعل بالفاعل، السبب بالمسبب، إذ تتمثل فعلا هذه العتبة مفتاحا نلج عبره إلى عمق النص. فهو يظهر علاقة إشهارية

تجذب القارئ إليها وتحفزه على فعل ولذة القراءة. [13] وتقصد بها العنوان الأساسي والجوهري، الذي يعرف بهوية وانتماء النص.

فهو يمثل أول ملفوظة يصطدم بها القارئ في بداية التواصل، إنه على موعد مع علامة لغوية تفتح له قناة الاتصال ليتواصل مع البنيات اللغوية فيبدأ في محاورتها بالقراءة البصرية والتأملية: " إن له طاقة توجيهية هائلة، فهو يجسد سلطة النص وواجهته الإعلامية التي تمارس على القارئ إكراها أدبيا ويمثل أيضا الجزء الدال على النص والرامي إلى إخضاع المرسل" [14]. ويؤكد في هذا المعنى "جيرار جنيت" لدارسي الأدب ومحللي النصوص على: "العلاقة الدالة التي تربط العنوان بالنص لأن العنوان: "اسم الكتاب، ومن حيث هو كذلك، يستخدم لتسميته، أي لتعيينه بأكبر قدر ممكن من الدقة، مع تفادي أي خطر في الخلط، ولذى من الضروري تقديم تبريرات استخدامه". [15]

يتصدر العنوان النص، فهو الذي يحدد دلالات ومعانيه، وأبعاده الذاتية والموضوعية أيضا، بحيث تشخص لنا الرواية صراع الذات مع نفسها ومع الآخر في سبيل تحقيق هدفها بكل أمل وألم.

فالعنوان يتكون من اسم – الزلزال – يطرح الروائي من خلاله قضية يخيم عليها السأم والملل تارة، والتيه، والحزن، والشعور بالموت تارة أخرى.

يختزل العنوان معاني ودلالات، كثيرة، ويقتصد في اللفظ، دون إهمال المعنى، بل ينقل جملة من المعاني بكامل خصوصيتها، في شكل لغوي محدود الألفاظ، تعكس تجربة الكاتب، وثقافته، وقدرته في التحكم في بنيات الخطاب السردي.

يمثل العنوان حقلا دلاليا رئيسيا، يرمز إلى جملة ذات سبك محكم، وغواية كثيرة. شغلت حيزا من صفحة الغلاف. ويطرح العنوان دائما إشكالية، أو سؤال يتكفل النص بالإجابة عنه. "العنوان سؤال إشكالي، والنص هو إجابة عن هذا السؤال [16]." بحيث يوحي لك العنوان عن طبيعة القراءة التي ستلج من خلالها إلى عمق النص، والدخول إلى النص عتبته العنوان.

العنوان ودلالاته في رواية:" الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"

يتميز العنوان في "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " بطول النفس، يتكون بناؤه من جملة طويلة تتكون من ست بنيات :

الولي / الطاهر/ يعود / إلى/ مقامه / الزكي

6 5 4 3 2 1

يحظى بنوع من العلاقة الوطيدة بالمكان، وهي ميزة نجدها تتكرر في أغلب عناوين نصوص "الطاهر وطار "، يمثل العنوان حضورا للذات ممثلة في شخص الطاهر، الولي. وجعلها في علاقة مباشرة مع المكان، الذي قد يختلف، ويتنوع بين السمو والرفعة، والانحطاط والتدني، إلى أن يصل إلى أحقرها مستوى مثل "الدهليز."

يتمتع العنوان بموقع ومكانة إستراتيجية بالغة الأهمية، إنه يشكل أول علاقة، وحالة تواصل، واتصال بين القارئ وعالم النص يبذل من خلاله المبدع جهدا كبيرا في اختيار العنوان الدال، والمميز والمناسب لنصه. " تكون له الصدارة ويبرز متميزا بشكله، وهو أول لقاء بين القارئ والنص، حيث صار يمثل آخر أعمال الكاتب وأول أعمال القارئ [17]".

وهو ما يدل على أن هذا العنوان سيعطي بعدا جماليا يزيد من تعدد تأويلات النص وقراءاته المختلفة. ويوحي لنا العنوان أن صاحبه من الطبقة الشعبية، كما أن المكان ليس عاديا، بسيطا، بل يحتل مستوى من العظمة في ذاته واعتقاده. إذ يمكن أن ندرك، ونتخيل ما، "للمقام" من قداسة ورفعة، في حياة واعتقاد صاحبه.

ويكون العنوان نسقا من العلامات ضبطت وأحكم تركيبها وفقا لنظام معين، وظيفته إخفاء معنى دقيق لمغزى وجوهر النص. كما أنه يجوز لنا أن نشبهه بالنواة المركزية التي تساهم في الانقسام الخلوي وتعدد الخلايا الناجمة عن هذا الانقسام، دون أن تحدث خللا في نمو جسد النص.

وعند تفكيك أجزاء العنوان المكونة من مفردات، فإننا نحصل على تشكيلات من السمات اللغوية تعكس في مجملها دلالات معينة هي كالآتي:

"**الولي**": كلمة مجردة، تمثل السلطة والريادة، جاء معناها في لسان العرب "ولي": من أسماء الله تعالى الحسنى.

والولي: هو الناصر، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها، ومن أسماءه عز وجل: الولي هو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها[18].

وقد نخص بها الإنسان مثل في قول الله تعالى: "**المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**[19]. "

تمثل الولاية في القرآن الكريم معنى النصرة والتولية وقد أطلقها تعالى على ذاته اسما بالإطلاق.[20]

أما الولي عند المسلمين، فهو من تطهرت روحه عن دنس الدنيا فاستقامت سيرته وخلصت سريرته، وكان عند الناس وجيها وعند الله مكرما لتقاه وصدق طاعته[21]".

وتمثل الكلمة في ثقافتنا الشعبية حضورا قويا، تتردد على لسان العام والخاص من أفراد المجتمع، مرتبط معناها بالتبرك بالولي" في قضاء الحاجة، وإقامة طقوس معينة للولي. وكما أن زيارته واسترضاءه بجلبان الحظ، محاولين تجنب غضبه، ونقمته، لأن ذلك يسبب له الشقاء والتعاسة، ويمكن لنا اعتبار الولي الرابط الروحي الذي يجمع بين الله عز وجل والفرد، وتقريبا نفس المفهوم السائد لدى المتصوفة[22].

وأمام هذا الكم الهائل من الدلالات والإيحاءات لكلمة ولي إلا أن الروائي قد نفى عن شخصيته المركزية (**الولي الطاهر**) كل الصفات الأخرى، لتطفو على السطح دلالة واحدة، المتمثلة في الذات المتصوفة، تجد نفسها وحيدة، تصارع الخطر والموت، وغربة المكان الذي يتنكر له في كل لحظة، ومع كل ذلك حدث جديد ومغامرة أخرى، يأخذ فيها صراع الذات بعدا نفسيا، يحاول من خلاله الهروب إلى مكان بديل مفضل.

"**الطاهر**": يمكن أن تكون لها دلالة اسم علم، وهو معروف في اللهجة المغاربية، بحيث يضاف للاسم الألف واللام فتصبح "الطاهر" وقد يستخدم أثناء المناداة، وتعني النقاء، والصفاء، الشرف والطهارة، صفات تتجلى بها الذات المتصوفة والنقية.

وأما جملة: "**يعود إلى مقامه الزكي**" فتتركب من علامات لغوية وهي:

"**يعود**": فعل وظف في زمن المضارع وظيفته تشمل في استمرار طول خط الزمن نحو المستقبل دون توقف. ويمكن أن نقرأ من وراء الفعل "يعود" فتتجلّى لنا العودة التي لها علاقة دينية تربطها بالنص، فبمجرد سماع اللفظة نستحضر في أذهاننا خبر عودة المهدي المنتظر، "الرجل المصلح من أمة "محمد صلى الله عليه وسلم ". عودته علامة من علامات الساعة الكبرى. يضفي على الدنيا عدلا ورحمة، بعدما استفحل فيها الظلم والجوع فيجتمع بالمسيح عليه السلام بعد نزوله ويحي عيسى خلفه [23]".

العنوان والهوية في رواية "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء":

إن "**عودة الطاهر**" مستخلصة من ثقافة الروائي الواسعة بحيث نستحضر من خلالها الروح الشعبية وما تحمله من بساطة وعفوية، توحي في مجملها بمدى ارتباط الذات الجزائرية وإيمانها بالمعقدات الشعبية والطقوس التي تعكس لنا هذه الاعتقادات.

لا تشمل بنية: "**العودة**" مفهوما عاديا، سطحيا، فدلالتها ومقصودها ديني وتاريخي، تقذف بالقارئ إلى عالم الأسطورة والغرائبي. لقد اتخذت كل هذه المواصفات والتشكلات لمظهر وتجلي الذات الطاهرة بأخلاقها الفاضلة دينها التسامح.

أما بخصوص "**المقام**" يشكل في النص بعدا ماديا وروحيا، له علاقة تاريخية وقديمة بالذات الإنسانية.

المقام: هو مكانة راقية يتصف بها الفضاء المقدس، الذي يحمل طابعا صوفيا: "فهو حقيقة معنوية يوجدها المقيم، فالتوبة مثلا لا وجود لها بمعزل عن التائب، بل التائب هو الذي يخلقها بإقامته فيها"[24].

يحمل المقام معاني روحية، ترتقي إليه الذات، وهي كثيرة وعديدة في اختلافها، وتنوعها،. ويمثل المقام محطة يرتقي إليها المتصوف في رحلته الصوفية إلى طريق الله عز وجل، وعليه فإن المقام في التصوف مرتبة معينة سامية، يحل إليها المريد للخلو في علاقة روحية مع الله عز وجل.

وإذا أردنا إعادة قراءة العنوان، فإننا نجده يعكس حالة من التصوف يعيشها الروائي طيلة فترة الرواية، بحثا عن مقامه بين المجتمع ومكانته بين أفراده. التي كان قد افتقدها منذ زمن يدفع بالذات نحو البحث المستمر والرحلة الشاقة عن هويتها إلى سلسلة من الإغماءات التي تشبه أصحاب الحضرة وعوالمها الغيبية. بحيث نشعر لمدى ارتباطها بهذا المقام وكيف أصبح يمثل حياتها وموتها في الوقت نفسه: "**حياتنا مقام والأحداث فيها أبواب، تفضي بنا إليها دون غيرها** [25]." يتحول بذلك المقام إلى علامة تخيل إلى مضامين وقيمات واقعية ورمزية، تحمل بعدا صوفيا يهدف إلى البحث عن اليقين، وكل الحقيقة في زمن مفقود، أو يكاد أن يكون مفقودا[26].

إن أول ما يلفت انتباهنا في رواية: "**الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء**" أنه يؤول تفسير للعنوان يحتوي مرجعية صوفية، يجسد لنا توجه الولي الطاهر بيديه إلى الأعلى... بدعاء نابع من صميم القلب، يفيض من داخله، وقولا نازعا إلى الخالق، وتعبيرا بحزن عن الحالة المتأزمة التي خيمت على الذات العربية أرخت بضلالها على روح الكاتب المتصوفة، يكون بذلك قد وهب حياته قربانا للكلمة الصادقة والخبر اليقين الحقيقي.

وإذا حاولنا فك وإعادة قراءة بنيات العنوان "الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" سنقع على الشق الثاني بما أننا قد تعرضنا للشق الأول سابقا تجنبا للتكرار.

يرفع: جاء فعل يرفع على صيغة المضارع، يحوي دلالات في الزلل والخطأ، وللرفع: دلالة دينية وتاريخية، وهي: رفع الله تعالى لسيدنا عيسى عليه السلام، لقوله تعالى: " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم".

ويكون رفع اليدين من أحد مميزات الدعاء في الإسلام والتقرب إلى الله العلي القدير طامعين منه الإجابة والقبول.

حرف "الباء" بالدعاء: يفيد الحرف "ب" الاستعانة وهي الداخلة عن المستعان به، كلمة "الدعاء" جاءت مقترنة بالواسطة التي حصل بها فعل الدعاء الذي يعتبر بمثابة وسيط بين العبد وربه ورفع اليدين: هو سلوك العابد، الناسك وهي وسيلة تكمل مشهد ومظاهر الدعاء إلى الله من طرف الولي الطاهر.

خاتمة

وخلصنا في نهاية بحثنا إلى جملة من الاستنتاجات نوردها كالآتي:

- اتسمت العناوين في روايات الطاهر وطار بالتنوع والتعدد والاختلاف في محطّة تكتسب لونا وطعما مغايرا، تحمل في ثناياها صورة معبرة عن واقعها، متأصّلة بانتمائها إلى التاريخ والحضارة والدين، ضاربة جذورها في أعماق الذاكرة، ترتد إليها كلما دعت الضرورة والحاجة إلى ذلك. وارتبطت في إبداعات الروائي الطاهر وطار بكل ما هو سياسي واجتماعي وتاريخي، فصلت فيه القول المتعلق بواقع البلاد في مختلف الفترات التي مرت بها قبل الاستقلال وبعده.
- جسد العنوان نوعا من الخيبة، التي طالت عمقها من جراء الفساد الذي ا لمّ بالمجتمع بعد الاستقلال، وكيف تتحلى النفس بحلة الغدر والخيانة وتتحول إلى ذات عنيفة شريرة .

- يتأرجح العنوان في كتابات "الطاهر وطار" بين الخوف، والتردد، و عدم الاستقرار ، ممثلا حالة نفسية مزرية، أفرزت نوعا من السلوكات والانفعالات التي عكست الوضع الاجتماعي والثقافي والديني والسياسي.

- يجعل الروائي من العنوان هدفا وغاية يريد الوصول إلى كماله محاولا، رسم معالمه ليبدو لنا سويا تاما بفكره ووعيه، واديولجيته وفلسفته. ويدين بالأخلاق والسلام والحب والصدق.

- تلك هي لحظات الكتابة الإبداعية التي ميّزت عناوين الروايات عند الطاهر وطار تجليات في أشكال وصور، إذ تبدو مناضلة، مقتنعة بهوية الذات والدفاع عن أفكارها ومنهجها في الحياة، ولا يمكن أن تعيش بمعزل عن المجتمع، فهي استمرار له يجلها ثوب الرّفض، والانتفاضة، لتبدو لنا في صورة إنكار، وثورة على الجهل، وتدعوا إلى الثقافة والتخلص من قيوده. ولم يغفل الطاهر وطار الجانب الميثولوج ي والاعتقاد الشعبي الذي جسده من خلال عناوينه، التي عدت من بين إحدى أهم السمات الثقافية والفكرية والأدبية التي ميزتها، فكانت إحدى معالمها وسماتها التي أضفت عليها نوعا خاصا من الجمالية متمثلة في خلق عامل التشويق، واللذّة أثناء القراءة. كما ساهم التراث الشعبي في خلق بنية فكرية وثقافية ميّزت البنية الفكرية للفرد وجعلها تُقدّم تفسيرا عن مختلف القضايا والإشكاليات في المجتمع. يعكس هذا النوع من الثقافة، عبر مقابلة مجموعة من المشاكل الاجتماعية بكم من المعتقدات(الجن، السحر، الشعوذة) وفي مواطن أخرى اللّجوء إلى المقام والضريح، والتبرّك بالأولياء والصالحين.

إن ما ميّز روايات الطاهر وطار بدءا بـ :"الزلزال" وصولا إلى "الولي" الطاهر يرفع يديه بالدعاء، هو عملية البحث الدائم، والمتعب عن الهوية وفي كل رواية شكل جديد ومضمون آخر، وطريقة مميزة في رسم شكل ولون الذات. يعكس بؤس، وحرمان الذات التي تخشى كل شيء في الوجود.

تحمل العناوين عند الطاهر وطار صفة "التجريب" إنها خطوة جديدة، تمثل اختبارا لقدرات المبدع، يجهر بها، ويتفاعل من خلالها مع مبدعي الضفة الأخرى، وتمثل تقنية العنونة في مفهومه مشروع بحث عن بناء شكل لخطاب جديد تجعل من الكتابة في قاموسه الإبداعي نهل من منبع التاريخ وانعكاسا ل تصدعات الذات الموجعة التي خلفتها جراح المأساة الوطنية العميقة.

الهوامش

[1]– سميوطيقا العنونة :جميل حمداوي، عالم الفكر، المجلد 25، العدد 3، يناير، مارس، الكويت، 1997.

[2]– الرواية والواقع: لوسيان قولدمان وآخرون ، ترجمة رشيدين حدو، عيون المقالات، دار قرطبة، ط 1 الدار البيضاء 1988، ص 12.

[3]– عتبات الكتابة مقاربة لميثاق المحكي العربي: عبد النبي ذاكر: ، دار ليلى، ط1، أغادير، 1998، ص 13.

[4]– المرجع نفسه، ص14.

[5]– العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد قارب الجزار ، الهيئة المصرية العامة لكتاب،1998، ص15.

[6]– دينامية النص، تنظير وإنجاز: محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء 2006، ص 72.

[7]– المرجع نفسه، ص 74. 1997، ص 90.

[8]– الفضاء الروائي في الجازية والدراويش، لعيد الحميد بن هدوقة: الطاهر روابنية: ،مجلة "المساءلة، ع1، ربيع 1991، ص 15.

[9]– لسان العرب: ابن منظور، دار صادر بيروت، 2000 ،باب الزاي، المجلد السادس، ص 73– 74.

[10]–الطاهر روابنية: الفضاء الروائي في الجازية والدراويش، لعيد الحميد بن هدوقة، والمعنى "المساءلة، مجلة اتحاد كتاب الجزائريين ،ع1،الجزائر ربيع 1991، ص 15.

[11]– لسان العرب: ابن منظور ، دار صادر، باب الزاي، المجلد السادس، بيروت ، 2000،ص 73– 74.

[12]– الزلزال تأويل الشخصية والمكان: أحمد شريط ، المساءلة، مجلة اتحاد كتاب الجزائريين، العدد1، الجزائر 1991. ص25.

[13]– السموطيقا والعنونة: جميل حمداوي ، عالم الفكر، الكويت، المجلد 25، العدد 3، يناير ومارس 1997 ، ص 79 – 112.

[14]– المرجع نفسه، ص 112.

[15]– المرجع نفسه، ص 108.

[16]– اللاز: الطاهر وطار ، مطبعة أحمد زبانة، ط3، الجزائر 1981، ص120.

[17]– عناصر التراث الشعبي في اللاز: عبد الملك مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1967، ص 10 .

[18]– الطاهر وطار، تجربة الكتابة الواقعية: واسيني الأعرج : ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989، ص 40.

[19]– الخطيئة والتفكير: عبد الله الغذامي ، منشورات النادي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985، ص 263.

[20]– لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، 2000، مادة ولى، الجزء 8 ، ص 2049.

[21]– سورة التوبة، الآية 71.

[22]– المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة: سعاد الحكيم ، ط1، بيروت 1981، ص 1231.

[23]– القاموس الجديد للطلاب :علي بن هادية وآخرون ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، الجزائر 1991، ص 1346.

[24]- سيميائية العنوان عند الطاهر وطار، رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، نموذجا: نعيمة فرطاس ، جامعة بسكرة (د،ت)،ص 26.

[25]- الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي :الطاهر وطار، ص 90.

[26]- الواقع والدلالة في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ديداني أرزقي: ، جريدة اليوم، 6 جوان، 2000، ص 21.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1 - لسان العرب: ابن منظور دار صادر، مجلد7، بيروت 2000.ص 409 .

2- المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة: سعاد الحكيم ، ط1، بيروت 1981.

3- القاموس الجديد للطلاب :علي بن هادية وآخرون ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، الجزائر 1991.

4 – الزلزال: الطاهر وطار، دار العلم للملايين، بيروت 1974.

5 - اللاز: الطاهر وطار ، مطبعة أحمد زبانة، ط3، الجزائر 1981.

4 - الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي :الطاهر وطار، دار موفم للنشر، الجزائر 2005.

5 – الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء: الطاهر وطار، موفم للنشر، الجزائر2005.

6 - الطاهر وطار، تجربة الكتابة الواقعية: واسيني الأعرج : ، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط) الجزائر1989.

7 - الواقع والدلالة في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ديداني أرزقي: ، جريدة اليوم، 6 جوان، 2000.

8 - سيميائية العنوان عند الطاهر وطار، رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، أنموذجا:نعيمة فرطاس ، جامعة بسكرة (د،ت).

9 - الخطيئة والتفكير: عبد الله الغذامي ، منشورات النادي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985.

10 - سميوطيقا العنونة :جميل حمداوي، عالم الفكر، المجلد 25، العدد 3، يناير، مارس، الكويت، 1997.

11 - الرواية والواقع: لوسيان قولدمان وآخرون ، ترجمة رشيدين حدو، عيون المقالات، دار قرطبة، ط1 الدار البيضاء 1988.

12 - عتبات الكتابة مقاربة لميثاق المحكي العربي: عبد النبي ذاكر: ، دار ليلى، ط1، أغادير، 1998.

13 - العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي: محمد قارب الجزار ، الهيئة المصرية العامة لكتاب،1998.

14 – دينامية النص، تنظير وإيجا: محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء 1990.

15 – الفضاء الروائي في الجازية والدراويش، لعيد الحميد بن هدوقة: الطاهر روابنية: ،مجلة "المساءلة، ع1، ربيع 1991.

16 – الطاهر روابنية: الفضاء الروائي في الجازية والدراويش، لعيد الحميد بن هدوقة، والمعنى "المساءلة، مجلة اتحاد كتاب الجزائريين ،ع1،الجزائر ربيع 1991.

17 – عناصر التراث الشعبي في اللاز: عبد الملك مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1967.